مساحة خضراء

سوكارنو... والمرأة!!

فؤاد عبدالقادر

> ولأن للناس فيما يعشقون مذاهب .. فقد كان أحمد سوكارنو زعيم إندونيسيا الراحل واحد من أعمدة مؤسسي دول منظومة عدم الانحياز يكره الأبواب المغلقة ويحب الانطلاق.

وكان معروفا عنه كسره للتقاليد البروتوكولية في حياته السياسية أو خلال زيارته لأية دولة من الدول لهذا تمكنت المخابرات المركزية في الأولة وفي الثانية من اصطياده..!!

الأولة: كما يقال عندما تمكنت من تصويره مع أحد الغواني بطريقة فاضحة.. وعملت على نشر الشريط لتشويهه .. وقد يكون الشريط مفبركاً.. وقد يكون حقيقيا.. خصوصاً إذا ما علمنا أن الرجل كان بالفعل »معراد« على حد التعبير الشعبي..

سوكارنو : يرى أن خصوصياته لا تدخل ضمن عمله السياسي وزعيم لإندونيسيا.. وكان مزواجاً ونسوانجيا.. وكانت آخر زوجاته عارضة أزياء من بنات الأصفر »يابانية«.

كانت نزواته النسائية .. تملأ الصحف والمجلات الأوروبية...

وفي الثانية : عندما تمكنت من تمكين أحمد سوهارتو من أن ينقلب ويطحن نصف مليون إندونيسي » من أعضاء اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي »الإندونيسي حلفاء السلف« وجعل الدماء كما يقال ترتفع إلى الركب...

في واحدة من زيارته لمصر.. أصر بعد الاجتماع لقضاء سهرة حرة ورفض مرافقة رجال الأمن المكلفين بحمايته » ليقع عبد الناصر في ورطة«.

وامضى ليلته في ملاحقة الزعيم الإندونيسي مع رجال الأمن.

هكذا كانت حياة سوكارنو كل شيء » ايزي« لا يعمل حساباً لأحد... ولا توجد في قاموسه كلمة » عيب«!!

ولعل المرأة وحبه لها من أهم أسباب نكبته ونكبة إندونيسيا أن تذكرنا أشهر مقولاته عن النساء : » المرأة كشجرة المطاط إذا بلغت الثلاثين يجب اقتلاعها لأنها لا تثمر«!!!

foad__123@yahoo.com

«الحضارة والفكر العالمي» لمصطفى عبد القادر غنيمات

■ عن دار الوراق في عمان للعام 2009 صدر كتاب»«الحضارة والفكر العالمي» د. مصطفى عبد القادر غنيمات» في واقع 322.ويقدّم المؤلّف في بداية كتابه باقة من التعريفات المقترحة من علماء ومختصين للحضارة،ويرتضي أخيراً تعريف أنّ الحضارة بدأت تأخذ معناها الاصطلاحي منذ القرن التاسع عشر،فأصبحت تشير إلى وضعية الرّقي والتقدّم على مستوى الفرد والمجتمع. وقد أخذ هذا المفهوم يختلط ويتداخل مع مفهوم الثقافة،فنتج عن ذلك اضطراب في تحديد دلالة كلّ منهما عند علماء الاجتماع والأنثربولوجيين،ومن ثم تعدّدت تعريفات الحضارة،كما أنّ مفهوماً آخر ،وهو المدنية قد بدأ يختلط،ويتداخل مع المفهومين السابقين.

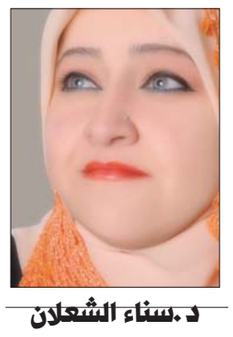

د.سناء الشعلان

ونشوء الحضارة وتطورها لا يمكن تفسيره بعامل واحد،مهما كانت درجته من الفاعلية والتأثير،بل إنّ التفسير المنطقي المعقول والواقعي هو الذي يأخذ بعين الاعتبار التفاعل والتكامل بين جملة من العوامل أو الشروط،ومنها:العامل الاجتماعي،والعامل الاقتصادي،والعامل الطبيعي أو البيئي،والعامل السياسي،والمعتقدات والقيم والنّظم الأخلاقية والاجتماعية،واللغة،والكتابة.

والتأمّل في الحضارات،وتعليل أسباب قيامها ومن ثم اضمحلالها من الأمور التي سلبت لبّ الكثير من العلماء،وجعلتهم يلتفتون إليها بكلّ ما وهبوا من أدوات،ولعلّ ابن خلدون،وشبنجلر،وتوينبي من أشهر من توقفوا عند هذه القضية،وكانت لهم نظراتهم وآراؤهم التي خلّدتهم في سِفر المتأملين في سيرة الحضارات والأمم.

والفكر في كلّ الحضارات هو الجانب المعنوي المهم للوجه المادي للحضارة،بل قد يكون المحرّك الحقيقي للجانب المادي والمشكل له،وبدونه لا يمكن أن نسمّي أيّ منجز إنساني بأنّه جزء من منظومة حضارية فاعلة وحقيقية. وهو ذلك روح الحضارة،أو جوهرها الداخلي،وهو جوهر له علاقة جدلية دائمة ومتفاعلة مع اللغة؛ولا غرو في ذلك،فاللغة هي أداة العقل البشري في إنتاج المفاهيم والتصورات والأفكار المجرّدة،وذلك عبر أساليب متباينة من التفكير بدأت بالتفكير الأسطوري/ السّحري،ثم بالتفكير الفلسفي،انتهاءً بالتفكير العلمي.

ففي مرحلة التفكير الأسطوري سادت الأساطير في المجتمعات البشرية البدائية ردحاً طويلاً من الزمن تحت تأثير سلطة التقاليد التي لا تسمح بأيّ نقد أو خروج عن سلطتها،ومن ثم كان الاعتقاد الجمعي بتلك الأساطير الذائعة يكفل توازن الجماعة واستقرارها،لكنّه كان توازناً يتّسم بالجمود،وقوامه المحافظة على الموروث الأسطوري،فكان يتعذّر على الفرد الخروج على الجماعة لذوبانه فيها.

وقد اضطلعت الأسطورة في تلك الفترة بوظيفة كفالة طمأنينة الحياة للإنسان البدائي،وقد سعى الفكر في تلك الحقبة إلى إرضاء شغفه بالمعرفة عن طريق منظومات تفسيرية أسطورية ألبسها ثوب الشّعر الجميل،والفن الرائق ليروي ظمأه إلى الحقيقة،ويطمئن إليها.

وقد شغل الكثير من الباحثين والاجتماعيين بدراسة البنية الاجتماعية للأقوام البدائية لفهم عقلياتهم،ونفسياتهم. ويعدّ العالم الاجتماعي الفرنسي ليفي برول من أهم من بحث في هذا الأمر،وكتب ستة كتب مشهورة في هذا الأمر،ويرى في هذه الكتب أنّ العقلية البدائية والعقلية المتحضّرة مختلفتان كل الاختلاف،وكأنّ هناك انفصالاً بينهما.

ومن هذا المنطلق نفسه تعدّ الأسطورة هي حقيقة البدائي التي آمن بها كلّ الإيمان،وفسّر العالم وفقها،فالأسطورة عند البدائي هي محاولة للإجابة عن الأسئلة التي كان يطرحها لتفسير مختلف الظواهر المحيطة به،في حين أنّ الحقيقة هي محاولة حديثة ومعاصرة للإجابة عن نفس الأسئلة أو مايماثلها.

ثم جاء وقت من الأوقات خرج فريق من البشر من طور الأسطورة والخيال الخرافي،فألفوا شيئاً فشيئاً الانصراف إلى الحكمة،يطلبونها،ويبحثون عنها،وأولئك عرفوا بأنّهم أصحابها،وهم الفلاسفة.

وعندما انهار بنيان الأسطورة،وانهار عصرها ظهرت الفلسفة،وأدّى ظهورها إلى الاستعاضة عن الأساطير بتفكير الإنسان في الكون والحياة وفي ذاته،ومن ثم ظهر الفيلسوف،وبعد ذلك ظهرت الفلسفة التي تجنّد الساحر والكاهن في ذلك العصر من أجل محاربتها بحجة الحفاظ على التراث القديم.

والفلسفة كما عرّفها العالم اليوناني فيثاغورس هي محبة الحكمة،والحكمة هنا تأتي بمعنى المعرفة الشمولية بالإنسان والكون والحياة.وبشكل عام نستطيع القول إنّ الفلسفة تتجلّى في جملة أفكار متسقة تتناول الموضوعات التي تتعلّق بالإنسان والكون والحياة،فهي المعرفة الشمولية التي لا يحدّها حدّ،ولا يحصرها حصر.

وفي المرحلة الأخيرة من رحلة العقل البشري جاء العلم ليشغله ويكونه ،فقد استقلّت العلوم عن الفلسفة الأم،وتحدّدت موضوعاتها ومناهجها،ومن ثم أصبح للتفكير العلمي سماته الخاصة التي تميّزه عن التفكير الفلسفي. فالعلم مجموعة من الحقائق النظرية المتسقة والمتعلقة بموضوع معين من موضوعات الوجود، ويتمّ التوصّل بها بمنهجية عليمة معينة،ويجرى التحقّق من صدقها المنطقي والواقعي،إنّه معرفة الواقع باستخدام منهج علمي محدد.

ومن أهم خصائص المعرفة العلمية أنّها معرفة علمية وضعية تستند إلى موضعة الظاهرة المراد دراستها،أيّ وضعها خارج الذات المدروسة،وأنها معرفة علمية موضوعية،وأنّها ذات معرفة علمية كمية،ولها خاصية التعميم،وقادرة على التنبّؤ،وذات بعد نظري.

وليس خفياً على عارف أنّ المعرفة العلمية تمتلك روحاً خاصة تتميّز بحرية البحث،والاعتقاد بمبدأ الحتمية،وتملك الشّك والروح والانتقادية،وعندها مقدار كبير من التجرّد،وتتحلّى بالصفات الأخلاقية.

ومن ناحية أخرى يؤكد العلماء على أهمية التجربة في البحث العلمي،كما يلزمون أنفسهم ما استطاعوا بقواعد عامة للبحث العلمي،منها:البداهة أو الشّك،والتحليل،والت ركيب،والاستقصاء والمراجعة.

ويشرع المؤلّف في كتابه يرحل في ركب الحضارة الإنسانية متتبّعاً لها في رحلتها الزمانية والمكانية،ومبرزاً أهم ملامح الحضارة والمنجز الإنساني والخصائص المميزة في تلك التجارب الحضارية المختلفة.ويذكر المؤلّف استناداً على آراء مؤرخي العلم إنّ العلم انتقل من وادي النيل ووادي الرافدين في مصر وبابل إلى الإغريق إلى العالم العربي والإسلامي مشرقاً وغرباً،ومنه انتقل العلم إلى إيطاليا في عصر النهضة الأوروبية،ومن إيطاليا إلى فرنسا وهولندا،ثم إلى انجلترا واسكتلندا في عصر النهضة الأوروبية،وواصل سيره في خط مواز للازدهار الاقتصادي ليصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ومراكز عديدة في شرق آسيا.

ويتوقّف المؤلّف في فصل خاص عند الحضارة العربية الإسلامية،وتكون وقفته بشكل خاص عند المنجز الطبي والزراعي في هذه الحضارة التي تقدّمت وازدهرت بفضل حرية الفكر،ورعاية الخلفاء والأمراء والولاة للعلم والعلماء،وإنفاقهم بسخاء في هذا المجال،واستعلاء العلماء بعلمهم وزهدهم في الترف والسلطان،والاستعداد الذهني والصّبر والمثابرة،والروح النقدية لدى علماء العرب التي كانت سبباً رئيسياً في تطوّر العلم.

وهذه الحضارة العربية الإسلامية قد اتّسمت بمجموعة من الخصائص المميزة،منها أنّها حضارة إيمانية،وإنسانية،وذات نزعة سلمية وتسامحية،وهي تدعو إلى الحرية والمساواة والعدل والإخاء والمحبة وتحرير الرقيق،وذات نزعة شورية،ونزعة عقلية وإخلاقية،وهي تأمر بالمعروف،وتنهى عن المنكر،وتُعنى بالتأمين والضمان الاجتماعي،وتقوم على العلم،وتتبنّى الجهاد منهجاً للحياة،وتسعى دائماً للتوازن بين المادة والروح.

ياسين محمد البكالي

صلاةُ النورِ

صلّى عليكَ اللهُ ..

إذْ لاحَتْ رأيتُكَ أنتَ في روحي

تُصلّي لا أنا

كلُّ الحروفِ يتِيمةٌ

إن لم أجدْكَ بِداخلي

تذوي عباراتي على سطحِ

الفؤادِ

أَحُسُّ أن لا شيئ في الأعماقِ

أصبحَ ساكِنا

مـولاي ..

جئتُ مِن أقصى القصيدةِ

جئتُ جَرياً خلفَ ما أبقاهُ ذِكْرُكَ

– للقصيدة – مِن مُنى

طـه

صلاةُ النور في جوفِ الليالي

أولُ الكلماتِ للمعنى المُغَرِدِ

في سماواتِ الفَنا

صلّى عليكَ اللهُ..

فرحتي الوحيدةُ

حينَ تَلهَجُ بالسلامِ عليكَ

– مِن حولي – الدُنا

٢٠١١\١\١٤م

إصدارات ثقافية

في مديح الحدود

■ «في مديح الحدود»، عنوان الكتاب الأخير للفيلسوف والكاتب والأديب الفرنسي ريجيس دوبريه الذي عرفه العالم خاصة كأحد رفاق «تشي غيفارا» و«فيدل كاسترو» اللذين أمضى معهما شطرا من «نضاله» في أميركا اللاتينية.

في هذا الكتاب الجديد يؤكد المؤلف «فضيلة» مفهوم «الحد». وذلك تحديدا في مواجهة «الانفلات من جميع الحدود والمقاييس». ولا يتردد في التأكيد منذ البداية أن مفهوم الحدود يشكل «ضامنا حقيقيا للمرجعيات الحيوية» لدى البشر. والتأكيد أيضا أنه في هذه الفترة المضطربة من تاريخ العالم يغدو «احترام» مفهوم الحدود أمرا ملحّا وضروريا. ويشير ريجيس دوبريه أيضا إلى أن هذا الكتاب الجديد يشكل تأملا حول الكيفية التي يتم فيها «إغلاق المجال من أجل فتح العقل».

هذا كتاب صغير الحجم بعدد صفحاته التي تقارب المائة صفحة وحيث يشير المؤلف إلى أنه تطوير لمحاضرة كان قد ألقاها بتاريخ ٢٣ مارس-آذار ٢٠١٠ في «البيت الفرنسي- الياباني» بباريس. كذلك يشير إلى أن الأفكار التي يطرحها في كتابه «قد تكون ذات وقع سيئ» على الأسماع، خاصة لدى جمهور معسكر اليسار، بل إن الإفصاح عنها علنا قد تنهي تماما ما بقي من شهرته التقليدية كمناضل متمرّد وثوري. الأطروحة المركزية في هذا الكتاب تتمركز حول القول إن الحدود ـ كل الحدود المادية والمعنوية ـ لا تشكل حقا أساسيا من حقوق الإنسان فحسب، ولكنها تشكل أيضا «واجبا» لا ينبغي التفريط به، ذلك «من أجل مواجهة جميع أشكال الانزلاق القاتلة».

ريجيس دوبريه يشرح أفكاره في هذا الكتاب عبر خمسة محاور «مقتضبة». ويحدد أولا أنه من التوهم الاعتقاد أن «شعار العولمة»، الذي أراد المستفيدون منه ترويجه، سوف يحل جميع الإشكاليات التي تواجهها الإنسانية. ذلك باسم مقولة مفادها «إن الإنسانية التي تتعثر يمكنها أن تكون بوضع أفضل دون حدود» كما يعبّر دوبريه مؤكدا على ضرورة محاربة مثل هذا الوهم.

ويشير المؤلف إلى أن المبدأ «الكوني» ـ يونيفرسال ـ القائل بانتفاء الحدود وينطلق من نوايا حسنة جدا بالتأكيد هدفها الوصول إلى نوع من التنسيق للعلاقات الإنسانية وقيام نوع من الحكومة العالمية التي ترعى استمرار السلام العام والشامل.

لكن دوبريه يركز مباشرة بعد هذا الإعلان عن «حسن النيّة» عن القول أنه «من السذاجة» أن لا يرى المرء وراء هذه الحجج «الجميلة» هناك مرام وغايات تثير الكثير من الجدل. وجوهر هذه النوايا هو تأمين سيطرة فئة معينة على الآخرين؟ و«سيطرة لا اقتسام فيها ولا حدود لها».

وبالاعتماد على الماضي يبيّن دوبريه أنه في جميع الحالات التي جرت فيها إزالة الحدود فإن الأمر لم يكن على يد «محررين» و«منقذين» ولكن كان «دائما» بواسطة قوّات الاحتلال الشرسة على غرار الرومان وخطط نابليون والنازية. ويرى دوبريه أن العولمة الحالية تستجيب لنفس الدوافع «المؤسفة». ذلك على اعتبار أنها تمثل بالنسبة لعالم المال ما كانت تمثله «الأممية العمالية– البروليتارية» للماركسيين «المزعومين» السوفييت وما تمثله «مهمة التحضير» التي قال بها المستعمرون الغربيون».

ويسأل المؤلف: من يحق له الكلام عن إزالة الحدود عندما نرى أن هناك أكثر فأكثر من الجدران لإعاقة انتقال البشر؟ هذا ما يقوله الواقع الفلسطيني وواقع طرد أعداد كبيرة من ذوي الأصول الرومانيين «الغجر» من فرنسا قبل فترة وجيزة من الزمن. وهذا ما يعرفه الكثير من أولئك الذين ترصدهم السلطات الأميركية لمنعهم من دخول أراضيها. يقول ريجيس دوبريه: «في الوقت الذي تتم فيه إزالة الحدود يتم أيضا بناء الجدران». يتحدث خاصة بهذا الصدد عن جدار العزل العنصري في فلسطين المحتلّة.

وبعد أن يذكر المؤلف العديد من الظواهر «السلبية» التي ترتبت على العولمة بنسختها الراهنة، يصل إلى القول إن هذه العولمة سوف تصل ذات يوم إلى «إفلاسها» الكامل. وعندها سوف يجد الكثير أنفسهم مرغمين على «إعادة الاعتبار لأبوابهم القديمة» التي كان قد جرى فتحها على مصراعيها لأسباب عديدة وأسماء متنوعة. وعندها سوف يعود العمل بقوانين الرسوم الجمركية التي وضعها منذ فترة من الزمن في «الصناديق» بالنسبة للعديد من الحالات.

لكن عملية «إغلاق الأبواب» من جديد لن تكون من أجل الحماية من الآخرين بمقدار ما هي «تنظيم أمور البيت في الداخل». وهذا كان دائما «مصير الإمبراطوريات» المهزومة. إن إشارات استفهام كبيرة يتم إصدارها في هذا السياق بصدد مستقبل الاتحاد الأوروبي.

المؤلف في سطور

ريجيس دوبريه هو أحد أشهر الشخصيات الفكرية الفرنسية المعاصرة. فيلسوف وكاتب وروائي وصحافي وصاحب عشرات الكتب، من بينها عمله الشهير «الثورة في الثورة». من مؤلفاته الأخيرة: «لحظة الإخاء» و«ساذج في الأرض المقدسة».

الكتاب: في مديح الحدود

تأليف: ريجيس دوبريه

الناشر: غاليمار

باريس ٢٠١٠

الصفحات: ٩٥ صفحة

القطع: المتوسط

يمثل نقطة انعطاف تاريخية في عالم الاقتصاد

«اقتصاد العالم القديم»

أصدر مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاباً جديداً بعنوان «اقتصاد العالم القديم»، للمؤلف م. إ. فنلي، والذي قام بترجمته الدكتور عبداللطيف الحارس، ويعد هذا الكتاب مدرسة تاريخية تختزن خبرة واسعة واختصاصاً عريقاً، إضافة إلى عبقرية فذة في التعامل مع التفاصيل البسيطة المهمة التي قد لا تلفت نظر الكثيرين عند اطلاعهم عليها، إنه كتاب مهم ومثير، يحتل مركزاً مشرفاً من بين قلّة من الأعمال الحقيقية النافذة المتعلقة بالتاريخ القديم.

ويتخلى مؤلف الكتاب عن الكثير من المنطلقات التقليدية التي كانت تبدو بديهية بحد ذاتها قبل أن يثبت أنّها كانت عديمة الجدوى أو مضللة، أثناء تناوله لتاريخ اقتصاد العالم القديم، كما شنّ فنلي هجوماً شاملاً على التقاليد الحديثة لمنهجية التاريخ الاقتصادي القديم، إذ رأى أنّه لا ينبغي تحليل اقتصاد العالم القديم باستخدام مفاهيم العلم الاقتصادي الحديث، لأنّ الأعمال الاقتصادية في العصور القديمة كانت تحدّد بشكل أساسي بالاهتمامات الاجتماعية وليس الاقتصادية، فالمركز الاجتماعي والإيديولوجية المدنية حكمت الاقتصاد في العصور القديمة بدلاً من الدوافع الاقتصادية العقلانية.

ويوضح فنلي الفرق الكبير الذي يفصل بين الاقتصاد القديم وعلم الاقتصاد الحديث، إذ لا يمكن إخضاع الاقتصاد القديم لمناهج الاقتصاد الحديث، ولا بدّ من استحداث مناهج وفروض جديدة لفهمه، ذلك أن العصور القديمة لم تعرف السياسات القائمة على السعي وراء الأسواق، أو أياً من العناصر التي كانت وراء قيام الرأسمالية الأوروبية الحديثة كالعقلانية الاقتصادية والسعي المدروس وراء الربح.

لقد شكّل كتاب فنلي حدثاً مهماً، ونقطة انعطاف تاريخية حاسمة في فهم اقتصاد العالم القديم ومجتمعه، فهو الباحث الوحيد الذي صاغ نموذجاً عاماً متماسكاً يمكن فهمه لاقتصاد العالم القديم، وفي الحقيقة، فإنّ الهدف الأساسي لكتابه هو أن يبيّن وبوضوح أنّ الأفراد والدول في العصور القديمة كانوا يفكرون بشكل أساسي بلغة سياسية، اجتماعية ونفسية، وثانياً فقط بلغة اقتصادية، مركزاً على النماذج التفسيرية، الدراسات الكمّية، ونتائج التقنيات الحديثة المتخصصة؛ ولذلك، فقد جاءت توجهاته متماشية مع الكتابات الجديدة في علم الاجتماع وعلم الاقتصاد، ويقدم لنا الكاتب في كل فصول كتابه نماذج مميزة في الكتابة التاريخية. إذ يعرض الوقائع، يفسّرها، يناقش المفاهيم التي تتعارض معها ثم يتوصل لاستنتاجاته بطريقة منطقية علمية مقنعة.

ولد المؤلف السير موسى إ. فنلي في مدينة نيويورك، وتابع دراساته الجامعية في جامعة سيراكوزا وجامعة كولومبيا، انتسب إلى قسم التاريخ في جامعة كولومبيا طالب دراسات عليا، وعمل باحثاً مساعداً في القانون الروماني فيها، حصل على منصب في جامعة روتجرز عام ١٩٤٨.. انتقل إلى إنجلترا عام ١٩٥٥، حيث حاضر في الدراسات الكلاسيكية لسنوات عدة في جامعة كمبريدج. أصبح مواطناً بريطانياً عام ١٩٦٢، وعضواً في الأكاديمية البريطانية عام ١٩٧١، وحصل على رتبة فارس عام ١٩٧٩، كتابنا الحالي هو من أهم أعماله على الإطلاق، إلى جانب العديد من الكتب والدراسات الأخرى المهمة.

أمّا مترجم الكتاب فهو د. عبد اللطيف الحارس في طرابلس – لبنان عام ١٩٥٢،وهو أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية منذ عام ١٩٨٦ ورئيس قسم التاريخ فيها، حائز على شهادة الدكتوراه فئة أولى في التاريخ من جامعة كولومبيا في نيويورك عام ١٩٨٥، وله العديد من الكتب المنشورة، ومجموعة من الكتب والمقالات المترجمة، منها كتاب شوكت باموك «التاريخ المالي للدولة العثمانية» وكتاب خليل اينالجك «التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية» إضافة إلى أبحاث قدمت في مؤتمرات ثقافية عدة.

يصف رحلة مؤلفه إلى مدينة فاس

رحلة إلى بلاد المغرب لأندري شوفريون

صدر عن دار الكتب الوطنية في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاب جديد يحمل عنوان "رحلة إلى المغرب"، لمؤلفه أندري شوفريون وترجمه إلى العربية الدكتور فريد الزاهي، ويصف مؤلف هذا الكتاب رحلته إلى مدينة فاس في المغرب العربي، وقد قسمها ثلاثة أقسام أولها "الطريق إلى فاس"، ثانيها "الدخول إلى فاس"، وثالثها "في ظلال مدينة فاس".

بدأ القسم الأول من الكتاب الذي يقع في ١٧٩ صفحة بوصف السفينة العتيقة التي ركبها من ١٥٠ طناً، غصت بركابها العرب واليهود والأمازيغ، كانوا مسترخين على ظهر السفينة وفي أماكن متفرقة من السفينة، واستفاض المؤلف بالحديث عن المسافرين وأحوالهم، كما أنه وصف الشواطىء وجبال الأندلس التي تراءت له على الفضة المقابلة، كما عمل على وصف شعوره بالبشر والإيقاعات والسفينة طوال فترة رحلته.

وتحدث في القسم الثاني عن دخوله إلى سهول فاس الفسيحة، التي يعلو إحدى جنباتها خط الجبال في الأفق، وقد كللت بعض قممها الثلوج، وهناك في المنحدرات صخور مرجانية مشعة بظلالها الزرقاء، وكيف كان أثناء هذه الرحلة مراقباً لزهور اللؤلؤ وشقائق النعمان، والمساحات الممتدة في خصرتها.

وأمّا القسم الثالث فقد خصصه للحديث عن الغرفة التي نزل فيها، والتي استضافه فيها القنصل الفرنسي، وقد هنأه عليها أصحابه، إذ إنه ليس في مدينة فاس فنادق، وعلى الزائرين أو المسافرين أن يخيموا في ساحة القوافل بين الجمال والبعوض والزنوج.

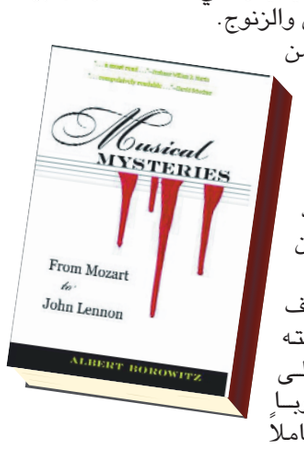

ولم يترك زاوية من زوايا مدينة فاس، ولا كائناً من كائناتها الحية، بما فيها البشر، إلاّ وقد وقف عندها وأمعن في تصويرها.

ويصل المؤلف في نهاية كتابته لهذه الرحلة إلى القول "أن أوروبا المقتنعة اقتناعاً كاملاً بثقافتها وتقدمها لم يعد فلاحها يغني، والمساء فيها لم يعد يبعث في القلب ذلك الانفعال المتوالي والبسيط موضحاً أن هذا هو الثمن الذي يدفعه الأوروبي لقراءة الصحيفة".

وأكد المؤلف انبهاره بالمجال الشاسع للهجران وبالجمال الذي تتميز به فاس نفسها وباديتها وبقايا ماضيها ومآثرها، فكلها تنتمي إلى الطبيعة وتحمل سمات قوانينها وإيقاعاتها الطويلة المدى التي تؤثر في الحياة المديدة لشعب ما على عكس أوروبا وما ابتكرته من فنون تزين به مدنها.